جِنْسِيَّةُ المُسْلِمِ وَعَقِيدَتُهُ

جاء الاسلام الى هذه البشرية بتصور جديد لحقيقة الروابط والوشائج ، يوم جاءها بتصور جديد لحقيقة القيم والاعتبارات ، ولحقيقة الجهة التي تتلقى منها هذه القيم وهذه الاعتبارات ٠

جاء الاسلام ليرد الانسان الى ربه ، وليجعل هذه السلطة هي السلطة الوحيدة التي يتلقى منها موازينه وقيمه، كما تلقّى منها وجوده وحياته ، والتي يرجع اليها بروابطه ووشائجه ، كما أنه من ارادتها صدر واليها يعود ٠

جاء ليقرر ان هناك وشيجة واحدة تربط الناس في الله فاذا انبتّت هذه الوشيجة فلا صلة ولا مودة :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم وابناءهم أو اخوانهم او عشيرتهم » ٠٠٠ (المجادلة : ٢٢) ٠

وان هناك حزبا واحدا لله لا يتعدد ، وأحزابا أخرى كلها للشيطان وللطاغوت :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا » ٠٠٠ (النساء : ٧٦) ٠

وأن هناك طريقا واحدا يصل الى الله وكل طريق آخر لا يؤدي اليه :

« وان هذا صراطي مستقيمـــا فاتبعوه ، ولا تتبعـــوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله » ... (الانعام : ١٥١)

وأن هناك نظاما واحدا هو النظام الاسلامي وما عـــداه من النظم فهو جاهلية :

« أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكمـا لقوم يوقنون » (المائدة : ٥٠)

وان هناك شريعة واحـــدة هي شريعة الله ومـــا عداها فهو هوى :

« ثم جعلنا على شريعة مـــن الامر فاتبعهـــا ولا تتبـع أهواء الذين لا يعلمون » ... (الجاثية : ١٨)

وأن هناك حقا واحدا لا يتعدد ، ومـــا عـــداه فهـو الضلال :

« فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ فأنى تصرفون ؟ » ..
(يونس : ٣٢)

وان هناك دارا واحدة هي دار الاســـلام ، تلك التـــي تقوم فيها الدولة المسلمة ، فتهيمن عليها شريعة اللـــه ، وتقام فيها حدوده ، ويتولى المسلمـــون فيها بعضهم بعضا . ومـا عداها فهو دار حرب ، علاقة المسلم بها امـــا القتال ، واما المهادنة على عهد أمان . ولكنها ليست دار اسلام ، ولا ولاء بين أهلها وبين المسلمين :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهـــم وأنفسهم في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا ، أولئك بعضهم اوليـــاء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهـــم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكـــم في الدّين فعليكـم

النصر – الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق – والله بما تعملون بصير • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير • والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم • والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم•••»

(الأنفال : ٧٢ – ٧٥)

بهذه النصاعة الكاملة، وبهذا الجزم القاطع جاء الاسلام•• جاء ليرفع الانسان ويخلصه من وشائج الارض والطين ، ومن وشائج اللحم والدم – وهي من وشائج الارض والطين – فلا وطن للمسلم الا الذي تقام فيه شريعة الله ، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله ، ولا جنسية للمسلم الا عقيدته التي تجعله عضوا في « الامة المسلمة » في « دار الاسلام » ، ولا قرابة للمسلم الا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله ، فتصل الوشيجة بينه وبين أهله في الله •••

ليست قرابة المسلم أباه وأمه وأخاه وزوجه وعشيرته ، ما لم تنعقد الآصرة الاولى في الخالق ، فتتصل من ثم بالرحم :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » •••

(النساء : ١)

ولا يمنع هذا من مصاحبة الوالدين بالمعروف مع اختلاف العقيدة ما لم يقفا في الصف المعادي للجبهة المسلمة ، فعندئذ لا صلة ولا مصاحبة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي يعطينا المثل في جلاء :

روى ابن جرير بسنده عن ابن زياد قال : دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبدالله بن عبدالله بن أبي قال: ألا ترى ما يقول أبوك ؟ قال ما يقول أبي ؟ ـ بأبي أنت وأمي ـ قال : يقول : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . فقال : فقد صدق والله يا رسول الله . انت والله الاعز وهو الاذل . اما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وان أهل يثرب ليعلمون ما بها احد ابر بوالده مني . ولئن كان يرضي الله ورسوله ان آتيهما برأسه لآتيهما به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » .. فلما قدموا المدينة قام عبدالله بن عبدالله بن أبي على بابها بالسيف لابيه ، قال : انت القائل : لان رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لا يأويك ظلها ولا تأويه أبدا الا باذن من الله ورسوله . فقال : يا للخزرج ! ابني يمنعني بيتي ! يا للخزرج ابني يمنعني بيتي ! فقال : والله لا يأويه ابدا الا باذن منه . فاجتمع اليه رجال فكلموه فقال : والله لا يدخلن الا باذن من الله ورسوله . فأتوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبروه فقال : « اذهبوا اليه فقولوا له : خله ومسكنه » . فأتوه فقال : أما اذ جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم فنعم ..

فاذا انعقدت آصرة العقيدة فالمؤمنون كلهم اخوة ، ولو لم يجمعهم نسب ولا صهر : « انما المؤمنون اخوة » ... على سبيل القصر والتوكيد :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ...

(الانفال : ٧٢)

وهي ولاية تتجاوز الجيل الواحد الى الاجيال المتعاقبة ، وتربط أول هذه الامة بآخرها ، وآخرها بأولها ، برباط الحب والمودة والولاء والتعاطف المكين :

« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » •
(الحشر : ٩ ـ ١٠)

***

ويضرب الله الامثال للمسلمين بالرهط الكريم من الانبياء الذين سبقوهم في موكب الايمان الضارب في شعاب الزمان :

« ونادى نوح ربه ، فقال : رب ان ابني من أهلي ، وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين • قال : يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، اني أعظك أن تكون من الجاهلين • قال : رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين » ••• (هود : ٤٥ ـ ٤٧)

« واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال : اني جاعلك للناس اماما • قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين » ••• (البقرة : ١٢٤)

« واذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا بلدا آمنا ، وارزق

أهله من الثمرات .. من آمن منهم بالله واليـوم الآخر .. قال : ومن كفر فأمتّعه قليلا ثم اضطره الـــى عذاب النار وبئس المصير ... (البقرة : ١٢٦)

ويعتزل ابراهيم أباه وأهلـــه حـين يرى منهم الاصرار على الضلال :

« وأعتزلكم وما تدعون مـن دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا » ... (مريم : ٤٨)

ويحكي الله عن ابراهيم وقومه ما فيه أسوة وقدوة :

« قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم : انّا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبـــدا حتى تؤمنوا بالله وحده » . (الممتحنة : ٤)

والفتية أصحاب الكهف يعتزلون أهلهم وقومهـم وأرضهم ليخلصوا لله بدينهم ، ويفرّوا الى ربهم بعقيدتهم ، حين عـز عليهم أن يجدوا لها مكانا في الوطن والاهل والعشيرة :

« انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هـدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا : ربنا رب السماوات والارض ، لـن ندعو من دونه إلهاً ، لقـــد قلنا اذاً شططا . هؤلاء قومنـــا اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن ! فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ؟ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون - الا الله - فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمتـه ، ويهيىء لكم من أمركم مرفقا » ... (الكهف : ١٣ - ١٦)

وامرأة نوح وامرأة لوط يفرق بينهما وبـين زوجيهما حين تفترق العقيدة :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل : ادخلا النار مع الداخلين » ..
(التحريم : ١٠)

وامرأة فرعون على الضفة الاخرى :
« وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجّني من فرعون وعمله ، ونجّني من القوم الظالمين » ... (التحريم : ١١)

وهكذا تتعدد الامثال في جميع الوشائج والروابط .. وشيجة الابوة في قصة نوح ، ووشيجة البنوة والوطن في قصة ابراهيم ، ووشيجة الاهل والعشيرة والوطن جميعا في قصة اصحاب الكهف ، ورابطة الزوجية في قصص امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون ..
وهكذا يمضي الموكب الكريم في تصوره لحقيقة الروابط والوشائج .. حتى تجيء الامة الوسط ، فتجد هذا الرصيد من الامثال والنماذج والتجارب ، فتمضي على النهج الرباني للامة المؤمنة ، وتفترق العشيرة الواحدة ، ويفترق البيت الواحد ، حين تفترق العقيدة ، وحيث تنبت الوشيجة الاولى، ويقول الله سبحانه في صفة المؤمنين قوله الكريم :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، اولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون » ... (المجادلة : ٢٢)

وحين انبتّت وشيجة القرابة بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين عمه أبي لهب ، وابن عمه عمرو بن هشام

(أبو جهل) وحين قاتل المهاجرون أهلهم وأقرباءهم وقتلوهم يوم بدر ٠٠ حينئذ اتصلت وشيجة العقيدة بين المهاجرين والانصار ، فاذا هم اهل واخوة ، واتصلت الوشيجة بين المسلمين العرب واخوانهم : صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ٠ وتوارت عصبية القبيلة ، وعصبية الجنس ، وعصبية الارض ٠ وقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « دعوها فانها منتنة » ٠٠ وقال لهم : « ليس منّا من دعا الى عصبية ، وليس منّا من قاتل على عصبية ، وليس منّا من مات على عصبية » ٠٠ فانتهى أمر هذا النتن ٠٠ نتن عصبية النسب ٠ وماتت هذه النعرة ٠٠ نعرة الجنس ، واختفت تلك اللوثة ٠٠ لوثة القوم ، واستروح البشر أرج الآفاق العليا ، بعيدا عن نتن اللحم والدم ، ولوثة الطين والارض ٠٠ منذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الارض ، انما عاد وطنه هو « دار الاسلام » الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها ، الدار التي يأوي اليها ويدافع عنها ، ويستشهد لحمايتها ومد رقعتها ٠٠ وهي « دار الاسلام » لكل من يدين بالاسلام عقيدة ويرتضي شريعته شريعة ٠ وكذلك لكل من يرتضي شريعة الاسلام نظاما ـ ولو لم يكن مسلما ـ كأصحاب الديانات الكتابية الذين يعيشون في « دار الاسلام » ٠٠ والارض التي لا يهيمن فيها الاسلام ولا تحكم فيها شريعته هي « دار الحرب » بالقياس الى المسلم ، والى الذمي المعاهد كذلك ٠٠ يحاربها المسلم ولو كان فيها مولده ، وفيها قرابته من النسب وصهره ، وفيها أمواله ومنافعه ٠

وكذلك حارب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة وهي مسقط رأسه ، وفيها عشيرته وأهله ، وفيها داره ودور أصحابه وأموالهم التي تركوها ٠ فلم تصبح دار اسلام

له ولأمته الا حين دانت للاسلام وطبّقت فيها شريعته .

***

هذا هو الاسلام .. هذا هو وحده .. فالاسلام ليس كلمة تقال باللسان ، ولا ميلادا في أرض عليها لافتة اسلامية وعنوان اسلامي ! ولا وراثة مولد في بيت ابواه مسلمان .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .
(النساء : ٦٥)

هذا هو وحده الاسلام ، وهذه هي وحدها دار الاسلام .. لا الارض ولا الجنس ، ولا النسب ولا الصهر ، ولا القبيلة ، ولا العشيرة .

لقد أطلق الاسلام البشر من اللصوق بالطين ليتطلعوا الى السماء ، وأطلقهم من قيد الدم .. قيد البهيمة .. ليرتفعوا في عليين .

وطن المسلم الذي يحن اليه ويدفع عنه ليس قطعة أرض ، وجنسية المسلم التي يعرف بها ليست جنسية حكم ، وعشيرة المسلم التي يأوي اليها ويدفع عنها ليست قرابة دم ، وراية المسلم التي يعتز بها ويستشهد تحتها ليست راية قوم ، وانتصار المسلم الذي يهفوا اليه ويشكر الله عليه ليس غلبة جيش . انما هو كما قال الله عنه :

« اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فسبّح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا » ...
(سورة النصر)

انه النصر تحت راية العقيدة دون سائر الرايات . والجهاد لنصرة دين الله وشريعته لا لأي هدف من الاهداف ،

والذياد عن « دار الاسلام » بشروطها تلك لا أية دار ، والتجرد بعد هذا كله لله ، لا لمغنم ولا لسمعة ، ولا حمية لارض أو قوم ، أو ذود عن أهل أو ولد ، الا لحمايتهم من الفتنـة عن دين الله :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سئل رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، اي ذلك فـي سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ...

وفي هذا وحده تكون الشهادة لا في أية حرب لاي هدف غير هذا الهدف الواحد .. لله ..

وكل أرض تحارب المسلم في عقيدته ، وتصدّه عن دينه، وتعطل عمل شريعته ، فهي « دار حرب » ولو كان فيها أهله وعشيرته وقومه وماله وتجارته .. وكل أرض تقـوم فيهـا عقيدته وتعمل فيها شريعته ، فهي « دار اسلام » ولو لم يكن له فيها أهل ولا عشيرة ، ولا قوم ولا تجارة .

الوطن : دار تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة مـن الله .. هذا هو معنى الوطن اللائق « بالانسان » . والجنسية: عقيدة ومنهاج حياة . وهذه هي الآصرة اللائقة بالآدميين .

ان عصبية العشيرة والقبيلة والقوم والجنس واللـون والارض عصبية صغيرة متخلفة .. عصبية جاهليـة عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي ، وسماها رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ « منتنة » بهذا الوصف الـذي يفوح منه التقزز والاشمئزاز .

ولما ادعى اليهود أنهم شعب اللـه المختار بجنسهـم وقومهم ردّ الله عليهم هذه الدعوى ، ورد ميزان القيـم الى

الايمان وحده على توالي الاجيال ، وتغاير الاقوام والاجناس والاوطان :

« وقالوا : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا • قل : بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط • وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم • صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة • ونحن له عابدون » •••

(البقرة : ١٣٦ ـ ١٣٧)

فأما شعب الله المختار حقا فهو الامة المسلمة التي تستظل براية الله على اختلاف ما بينها من الاجناس والاقوام والالوان والاوطان : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » •••

الامة التي يكون من الرعيل الاول فيها أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، واخوانهم الكرام • والتي تتوالى اجيالها على هذا النسق الرائع •• الجنسية فيها هي العقيدة ، والوطن فيها هو دار الاسلام ، والحاكم فيها هو الله ، والدستور فيها هو القرآن •

هذا التصور الرفيع للدار وللجنسية وللقرابة هو الذي ينبغي أن يسيطر على قلوب أصحاب الدعوة الى الله ، والذي ينبغي أن يكون من الوضوح بحيث لا تختلط به أوشاب التصورات الجاهلية الدخيلة ، ولا تتسرب اليه صور

الشرك الخفية : الشرك بالارض ، والشرك بالجنس ، والشرك بالقوم ، والشرك بالنسب ، والشرك بالمنافع الصغيرة القريبة، تلك التي يجمعها الله سبحانه في آية واحدة فيضعها في كفة، ويضع الايمان ومقتضياته في كفة اخرى ، ويدع للناس الخيار :

« قل : ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره ٠٠ والله لا يهدي القوم الفاسقين » ٠٠٠ (التوبة : ٢٤)

كذلك لا ينبغي أن تقوم في نفوس أصحاب الدعوة الى الله تلك الشكوك السطحية في حقيقة الجاهلية وحقيقة الاسلام ، وفي صفة دار الحرب ودار الاسلام ٠٠ فمن هنا يؤتى الكثير منهم في تصوراته ويقينه ٠٠ انه لا اسلام في أرض لا يحكمها الاسلام ، ولا تقوم فيها شريعته ، ولا دار اسلام الا التي يهيمن عليها الاسلام بمنهجه وقانونه ، وليس وراء الايمان الا الكفر ، وليس دون الاسلام الا الجاهلية ٠٠ وليس بعد الحق الا الضلال ٠٠